

Building Old Dictionaries : A Practical Study Of The Anagram Method

بناء المعاجم القديمة دراسة تطبيقية في مدرسة التقلبيات الصوتية

بوشوشة إيمان

المدرسة العليا للأساتذة، بشار

Imenbouchoucha01@gmail.com

قبل للنشر في: 2019-06-20

قدم للنشر في: 2019-06-14

Abstract:

The achievement of the first introduction to the first Arabic dictionary was nit easy, because of its risks and because it either paved the way for new creativity or continued in the same way of the former linguistic attempts. There is no doubt that El Khalil Ben Ahmed El Farahidi was aware of what he wanted to do as an innivator, he didn't make an illustrative or explanatory introduction but to outline a new theoretical lexicon. And thus, he was the first to initiate the history of general human culture to confront the difficulties and risks of that adventure which aimed at conducting human discourse from an Arab perspective in which Arabic was an example to measure and to organize an international Arabic lexical theory.

Keywords : anagram ; method ; intrduction ; entries .

الملخص :

لم يكن إنجاز أول مقدمة لأول معجم عربي بالأمر الهين، لما يحيط بها من مخاطرة ولكونها إما أن تشق الطريق لإبداع جديد، أو أن تستمر في خط ما أُلّف من محاولات لغوية شبه معجمية، ولا شك أن الخليل بن أحمد الفراهيدي كان واعيا بما يريد الإقدام عليه لشعوره بأنه مبتكر ومحدد لذا نجده يتصدى لهذه الريادة لا لكي يضع مقدمة توضيحية أو تفسيرية بل ليرسم الخطوط العامة لنظرية معجمية جديدة، وكان بذلك أول من بادر في تاريخ الثقافة الإنسانية العامة إلى اقتحام مصاعب تلك المغامرة الرامية إلى سير كنه الخطاب الإنساني من منطلق عربي، سخرت فيه العربية لتكون مثالا به يقاس وعلى شواهدا يقنن وينظم في نطاق نظرية معجمية عربية دولية شاملة.

كلمات مفتاحية المعجم، المقدمة، التقلبيات الصوتية، الأبواب، المنهج.

العرض:

كان قائد هذه المدرسة الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 180 هـ) في معجمه "العين" ذا ذهن رياضي مبتكر أعمله في جميع فروع العلم التي اشتغل بها فهداه إلى الكشف العظيمة، حصر أشعار العرب عن طريق أوزانها في العروض¹ وزم أصناف النغم وحصر أنواع اللحون في الموسيقى² وأراد أن يعمل نوعاً من الحساب تمضي به الجارية إلى البيع فلا يمكنه أن يظلمها فغوَّجَل عنه³ هذا الذهن لم يبعد عن ميدانه في محاولته تأليف المعجم، لأنه كان يرمي إلى ضبط اللغة وحصرها⁴. فلقد كان الغرض الرئيس من تأليفه للمعجم استيعاب كلام العرب وحصر الثروة اللفظية حصراً شاملاً لأن الرسائل اللغوية السابقة لا تسير في جمع اللغة على أسس علمية ثابتة ولا يمكن جمع اللغة عن طريقها وحصرها حصراً شاملاً كما أنها لا تخلو من التكرار⁵. فاضطر على استبعادها والتفكير الطويل في منهج صالح له، فقد وفقه الله عز وجل إلى منهج يحقق غرضه وهو منهج الترتيب الصوتي للحروف الذي لم يسبقه إليه أحد، فيرى الباحث أحمد عبد الغفور عطار أن الخليل لم يكن مقلداً أحداً أو ناهجاً على طريق سابق بل كان مبتكراً مخترعاً في الفكرة والمنهج والترتيب⁶. فقد فقد كان الناس يرتبون على أسس أخرى منها الترتيب على أساس تشابه المجموعات (ب ت ث) و (خ ح ج)..⁷ وارتأى الخليل أن اللغة العربية تتكون من 29 حرفاً، لا يخرج عنها كلمة ولا أي حرف فيقوم بترتيب الحروف في نظام ثابت ثم استقصاء الكلمات العربية التي يكون الحرف الأول من هذا الترتيب أولها مثلاً، والكلمات التي يكون هو نفسه ثانيها.... كما أنّ الكلمات العربية محصورة بين الثنائي والخماسي وعلى هذا الأساس يمكنه حصر اللغة⁸ ثم رتب الحروف الساكنة بحسب مخارجها بادئاً بالحروف الحلقية ثم اللسانية ثم الشفوية ثم الهوائية⁹ وكان ترتيبه للأصوات على الصورة التالية: ع ح ه خ غ - ق ك - ج ش ض - ص س ز - ط د ت - ظ ث ذ - ر ل ن - ف ب م - و ا ي ء.

¹ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، عبد بن أبي بكر السيوطي جلال الدين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نشر عيسى البابي الحلبي، ط1، 1964، القاهرة مصر، ص 243.

² المرجع نفسه، 41 ص.

³ المرجع نفسه، ص 52.

⁴ معجم الأدباء إرشاد الأريب في معرفة الأديب، ياقوت الحموي، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1993، م6، ص 227.

⁵ المعاجم العربية مدارسها ومناهجها، د عبد الحميد محمد أبو سكين، الفاروق الحرفية للطباعة والنشر، ط2، 1981، مصر القاهرة، ص 32.

⁶ مقدمة الصحاح، أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط4، 1990، بيروت لبنان، ص 49.

⁷ المعاجم العربية مدارسها ومناهجها، د عبد الحميد محمد أبو سكين، ص 32.

⁸ الفهرست، أبو الفرج محمد بن إسحاق، بن محمد الوراق البغدادي أبْن نديم، تحقيق إبراهيم رمضان، دار المعرفة بيروت لبنان، ط2، 1997، ص 43.

⁹ سر صناعة الاعراب، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت لبنان، 2000، ج1، ص 9.

وسمى كل حرف كتابا وافتتح معجمه بحرف العين وسماه كتاب العين فكتاب الحاء فكتاب الهاء وهكذا وأطلق اسم كتابه الأول وهو كتاب العين على المعجم كله لأنه ابتدئ به على عادة العرب في كثير من أسمائهم، كما يتضح جليا في كثير من أسماء سور القرآن.

طراً على ذاكرة الخليل أن جذور الكلمات العربية محصورة بين الشائني والحماسي، فلا تقل عن ذلك أبداً، ولا تزيد البتة إلا بحروف زوائد لا دخل لها في معنى الكلمة المجردة فالكلمات العربية المجردة إما ثنائية أو ثلاثية أو رباعية أو خماسية، ولا شيء غير ذلك¹⁰، إذن فليراع في كل كتاب من الكتب التسعة والعشرين هذه الأبنية، فيسهل عليه الحصر، فجعل هذه الأبنية أساس تقسيم الكتب إلى أبواب.

الخطوة الثالثة استقصاء تنقل كل حرف من نظامه الأبجدي الصوتي في كل بناء من هذه الأبنية، فرأى أن حرف العين مثلاً يمكن أن يغير موقعه في البناء الشائني مرتين، بأن يكون أولاً أو ثانياً، وفي الثلاثي ثلاثاً، بأن يكون أولاً أو ثانياً أو ثالثاً، وفي الرباعي أربعاً بأن يكون أولاً أو ثانياً أو ثالثاً أو رابعاً، وفي الخماسي خمساً... فإذا كان الحرف الثاني مع العين في البناء الشائني باء أصبح للبناء صورتان: (عب) و(بع)، فإذا كان معهما في البناء الثلاثي حرف ثالث كالدال مثلاً، أمكن أن يأتي من الثلاثي ست صور (عبد) و(بعد) و(بدع) و(عذب) و(دعب) و(دبع)، حيث يتخذ كل حرف في كل موضع صورتين فيليه في كل صورة حرف غير الذي يليه في الثانية، ويرتفع هذا العدد في الرباعي إلى 24 صورة أو تقليب، وفي الخماسي إلى 120 تقليباً¹¹.

وسميت هذه الطريقة بالتقاليب؛ لأنها تأتي من تقليب حروف الكلمة المجردة الواحدة في المواضع المختلفة، وقد تتبع الخليل تقاليب كل بناء ووضعها جميعاً في الحرف الأول مخرجاً من حروف التقليب ليسهل الحصر، ولا يكرر شيئاً من هذه التقاليب بعد ذلك، ولتسّم كل مجموعة من هذه التقاليب فصلاً، فالفصل في باب الشائني يشتمل على مادتين وفي الثلاث على ست وهكذا، ولما كانت هذه التقاليب أمراً نظرياً خالصاً إذ لم تستعمل اللغة منها إلا أقلها وخاصة في الرباعي والحماسي فإن الخليل يشير في باب الشائني والثلاثي إلى المستعمل والمهمّل غير المستعمل، أما فيما عدا ذلك من الرباعي والحماسي فاكتمى بإيراد المستعمل فقط لكثرة المهمّل.

¹⁰ كتاب العين مرتب على حروف المعجم، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: د عبد الحميد هندواوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003، ص2.

¹¹ المرجع نفسه، ص10/9.

ظواهر في العين:

- 1 _ كثرة الألفاظ المتصلة بالنبات والحيوان والأعلام والمصطلحات لأن الخليل استقى هذه الألفاظ ومواده من الرسائل اللغوية الصغيرة التي سبقت كتابه في الوجود ومثال ذلك قوله: التَّغْضُوضُ: ضرب من التمر أسود شديد الحلاوة، موطنه حجر وقراها، والققع طائر أبلق بياض وسواد، طويل المنقار والرجلين، ضخم من طيور البر، يظهر أيام الربيع ويذهب في الشتاء.
- 2 _ عني بلغات العرب عناية كبيرة ونسبها لأصحابها وذكر منها لغات تميم وهذيل واليمن ولغات من بني عقيل وقد أشار إلى شبه لغة الكنعانيين بالعربية¹².
- 3 _ من لوازم إيراد الفعل أن يعقبه بمصدره، ويرتب في أحيان كثيرة الماضي ثم المضارع ثم المصدر، ثم يعقب ذلك بذكر الصفات في كثير من الأحيان، ويلتفت من آن لآخر للمذكر والمؤنث، والمفرد والجمع في هذه الصفات، كما فرق بين جموع القلة والكثرة.
- 4 _ كان يستخدم القياس ويورده لافتراض الصيغ، وكان يعتمد في القياس على الاشتقاق، كما كان يلجأ للتفسير الاشتقاقي للمواد التي يعالجها¹³.
- 5 _ أقام شروحه للمواد اللغوية على دعائم قوية من الشعر العربي، والحديث الشريف، والقرآن الكريم، والأمثال، وأقوال العرب الفصحاء¹⁴.
- 6 - حاول الخليل أن يفصل بين جموع القلة والكثرة والكثرة كقوله: العَقَب: مؤخر القدم... وتجمع على أعقاب وثلاثة أعقبه" و "العقاب: طائر... ويجمع على عقبان، وثلاثة أعقب".
- 7 - تدل دراسة منهج الخليل في معالجة ألفاظه أنه حين جلب جميع الألفاظ المشتقة من مادة واحدة معا تحرر من كثير من مظاهر مناهج الرسائل اللغوية التي همها الأول الموضوع لا الألفاظ المشتقة، ولكنه مع ذلك يبقى متأثراً بها بعض الشيء.

¹² مادة كنع¹³ الاقتراح في أصول النحو، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، تح: عبد الحكيم عطية، علاء الدين عطية، دار البيروني، دمشق، ط2، 2006، ص46.¹⁴ المزهر في علوم اللغة وأنواعها، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج2، ص225.

الْمآخِذُ عَلَى مَعْجَمِ الْعَيْنِ وَالرَّدُّ عَلَيْهَا:

1 _ شكّا بعض اللغويين من صعوبة منهج " العين " بسبب مشقة الوصول الى اللفظ المراد، ومن هؤلاء اللغويين أبي العباس أحمد بن ولاد، قال: (كتاب العين لا يمكن طالب الحرف منه أن يعلم موضوعه من الكتاب من غير أن يقرأ، إلا أن يكون قد نظر في التصريف وعرف الزائد والأصلي) وقال ابن فارس: شاهدت كتاب العين الذي صنفه الخليل بن أحمد ووعورة ألفاظه، وشدة الوصول إلى أبوابه، والحقيقة أن هذه المآخذ سببها بناء المعجم على أساس صوتي وتقليبي، فيذكر المادة وتقليباتها في موضع واحد؛ فهذا يجعل البحث عن الكلمات صعباً؛ إذ لا بد من معرفة مخارج الأصوات، ومعرفة التقليلات لمن يريد الكشف في العين عن معنى كلمة حتى يسهل عليه ذلك، وهذا من أكبر الأسباب التي قللت الاستفادة من مثل هذا المعجم، وقد طبع المعجم طبعة جديدة صدرت عن دار الكتب العربية بيروت لبنان 1424هـ، ترتيب وتحقيق د. عبد الحميد هندراوي، وهذه الطبعة رتبت المعجم ترتيباً أبجدياً عادياً؛ فلعل في ذلك تسهياً وتيسيراً لطلاب العلم.

2 _ استشهاده بشعر بعض المحدثين، واحتواؤه على حكايات عن بعض المتأخرين الذين جاؤوا بعد وفاة الخليل كأبي إسحاق الزجاج، وكراع النمل وغيرهما.

3 _ خلطه بعض المواد الرباعية والخماسية.

4 _ احتواؤه على كثير من التصحيفات التي لا تليق بالخليل، وقد علله الدكتور أحمد أمين بأن الكتابة في ذلك العصر لم تكن تُنْقَطُ، وحروف العلة العربية متقاربة في الشكل، فأوقع هذا اللغة العربية ومؤلفاتها في كثير من اللبس¹⁵.

5 _ أنَّ ما في العين من آراء نحوية إنما هو على مذهب الكوفيين، وبخلاف مذهب البصريين مع أن مذهب الخليل كان يتبع المذهب البصري.

6 _ أخذ بعض العلماء على الخليل انفراده بكثير من الألفاظ، مثل قوله: التاسوعاء: اليوم التاسع من المحرم. وقد استدرك ذلك عليه الزبيدي بقوله: لم أسمع بالتاسوعاء.

ودافع السيوطي عن ذلك بقوله: إن الانفراد أمر طبيعي، وحكمه القبول إن كان المنفرد به من أهل الضبط والإتقان كأبي زيد والخليل والأصمعي¹⁶.

¹⁵ ضحى الإسلام، أحمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر القاهرة، ط 1997، ج2، ص 269.

¹⁶ المزهر، السيوطي، م3، ص 6.

7 _ اشتمل كتاب العين على أخطاء صرفية واشتقاقية كقوله: ليس في الكلام نون أصلية في صدر الكلمة. قال

الزبيدي في استدراكه: جاءت كثيراً نحو: نُهشل، ونننع¹⁷.

هذه جملة من المآخذ على كتاب العين، وقد اعتذر له كثير من الباحثين والمنصفين يقول الدكتور أمين فاخر: ويبدو أن هذه المآخذ يرجع معظمها إلى عمل النُساخ الذين خلطوا بين متن الكتاب الذي هو للخليل، وبين الهوامش التي وضعها بعض المتأخرين من تلاميذ الخليل حينما رأوا أن يدونوا ملاحظاتهم على الكتاب.

وقال السيوطي: وقد طالعت إلى آخره، فرأيت وجه التخطئة فيما خُطئ به غالبه من جهة التصريف والاشتقاق؛ كذكر حرفٍ مزيد في مادة أصلية، أو مادة ثلاثية في مادة رباعية ونحو ذلك، وبعضه ادعى فيه التصحيف.

وأما أنه يُخطأ في لفظه من حيث اللغة، بأن يقال: هذه اللفظة كذب، أو لا تعرف - فمعاذ الله! - لم يقع ذلك.

وحينئذ لا قدح في كتاب العين؛ لأن الأول الإنكار فيه راجع إلى الترتيب والوضع في التأليف، وهذا أمر هين؛ لأن حاصله أن يقال: الأولى نقل هذه اللفظة من هذا الباب، وإيرادها في هذا الباب، وهذا أمر سهل، وإن كان مقام الخليل ينزه عن ارتكاب مثل ذلك.

والثاني: إن سُلّم فيه ما ادعي من التصحيف يقال ما قالته الأئمة: ومن ذا الذي سلم من التصحيف كما سيأتي في النوع الثالث والأربعين مع أنه قليل جداً، وهكذا يتبين لنا من خلال ما مضى منزلة كتاب العين، وأن المآخذ عليه - إذا وجدت - لا تنقص من قيمته، ويكفيه فخراً أنه أول معجم لغوي شامل في العربية.

أثر كتاب (العين) في التأليف اللغوي:

أثر العين بصفته المعجم الأول عند العرب في جميع المعاجم التي ظهرت بعده، وإن اختلف هذا الأثر في كل منها، فقد تأثرت جميعها بخطته في اعتبار الحروف الأصول وحدها في ترتيب الكلمات ولم يتخذ واحد منها عن هذه الخطأ، وتبنت كلها أو معظمها الغرض الذي أراد أن يحققه وهو جمع اللغة كلها بواضحها وغريبها، ولم يشذ عن ذلك إلا القليل من المعاجم كالجمهرة والأساس، كما أخذ أحمد بن فارس البذور الأولى لفكرتي الأصول في الألفاظ الثلاثية المتصرفة، والنحت فيما زاد عليها، كما أن ابن جني أقام على أساس العين نظريته في الاشتقاق الأكبر¹⁸.

¹⁷ المرجع السابق، ص 55.

¹⁸ ينظر المعجم العربي نشأته وتطوره، د حسين نصار، ص 232.

وكان لتأليف كتاب (العين) أثر في حركة التأليف اللغوي العربي، فبظهوره بدأت الصناعة المعجمية الحديثة بالمعنى العلمي الدقيق حيث كانت قبل ظهوره مقتصرة على رسائل لغوية قصيرة في موضوع واحد، وكانت محرومة من فكرة الشمول وتنويع المفردات، حتى جاءت هذه الموسوعة العلمية الفريدة في نوعها في ذلك الوقت وسدت ذلك النقص وكانت فتحاً لطريق جديد من طرق دراسة اللغة و لا يزال أثرها ممتداً حتى وقتنا الحاضر¹⁹. وقد تناول اللغويون بالاختصار والاستدراك والتوضيح؛ لذا كان تأثير كتاب (العين) بمن بعده على طريقتين هنا: طريق محاكاته في طريقة التأليف، والتزمت منهجه بخدائره مع بعض الإصلاحات الطفيفة في التفاصيل والجزئيات، وهذه المعاجم هي التي سُميت مدرسة العين، وتضم بارع القالي وتهذيب الأزهرى ومحيط الصاحب بن عباد ومحكم ابن سيده²⁰. وطريق تناوله بالشرح والاستدراك. أما الطريق الأول فهو قسمان أحدهما محاكاة الفراهيدي في (نظام التقليلات) فقط، وعدم ترتيب الكلمات على النظام الصوتي فضلاً عن التقليلات، أما محاكاة نظام التقليلات فقد سلكه ابن دريد في تأليف كتابه (الجمهرة في اللغة) وأما الترتيب الصوتي فقد سلكه أبو علي القالي في تأليف كتابه (البارع في اللغة)، وقد سلكه أيضاً أبو منصور الأزهرى، في تأليف كتابه (تهذيب اللغة) وسلكه الصاحب بن عباد في تأليف كتابه (المحيط في اللغة) وسلكه ابن سيده في تأليف كتابه (المحكم والمحيط الأعظم في اللغة) وسلكه الفيروزآبادي في كتابه (اللامع).

أما الطريق الثاني وهو ما أُلّف حول كتاب (العين) نفسه فقد سلكه النضر بن شميل في كتابه (المدخل إلى العين) وسلكه المفضل بن سلمة عندما استدرك على (العين) في كتابه: (البارع في علم اللغة) وسلكه أحمد بن محمد الخارزنجي في كتابه (تكملة كتاب العين) وسلكه أبو الأزهر البخاري في كتابه (الخواصل) وسلكه أبو بكر الزبيدي في تأليف كتابه (مختصر العين) وكذلك في كتابه (المستدرك من الزيادة في كتاب البارع للقالي على كتاب العين).

أما في العصر الحديث فقد كان (العين) محوراً لكثير من رسائل الماجستير وأطروحات الدكتوراه فضلاً عن البحوث والمقالات، والدراسات التي - بلا شك - أغنت هذا الكتاب، كما تعد بمقدمة العين النواة الأولى لما يعرف اليوم بـ(علم الأصوات العربية).

لقد قادت هذه الرؤية الخليلية إلى استخلاص مفاهيم وتطبيقات معجمية لخصها الحمزاوي في أبعاد ثلاثة:

1- استنباط نظام صوتي معجمي لكتاب العين من النظام الصوتي اللغوي العربي.

¹⁹ المعاجم العربية مدارسها ومنهجها، د عبد الحميد محمد أبو سكين، ص 51.

²⁰ ينظر المعجم العربي نشأته وتطوره، د حسين نصار، ص 232.

2- التأكيد على مفهوم البنى الثنائية والثلاثية والرابعة والخامسة يقر مفهوم البنى العميقة المعجمية التي تعتمد عليها مداخل المعجم العربي.

3- استقراء مفهوم البنى السطحية التي تنشأ من تصريفات البنى العميقة وتحويلاتهما وذلك بالاعتماد على عملية التقلب التحويلية الرياضية²¹.

ثانيا: كتاب البارع للقالبي: (288-356):

في القرن الرابع ظهر في الأندلس معجمها الاول " البارع في اللغة " لإسماعيل ابن القاسم القالي البغدادي، وكان ابتداء عمله فيه عام 339 هـ، وعاونه فيه وراق يسمى محمد بن الحسين الفهري من أهل قرطبة منذ عام 350 هـ واستمر يجمع مواد ويدونها حتى توفي عام 356 قبل أن يتممه ويهذبه، فتولى تهذيبه وراقه مع محمد بن معمر الجباني فاستخرجاه من الصكوك والرقاع، وهذباه من أصوله التي بخط القالي، وخطيهما مما كتبا بين يديه. ولما كمل رُفِعَ إلى الحكم المستنصر بالله²².

والبارع كتاب مسهب في اللغة أو معجم كبير في ألفاظه العربية، ولعل أهميته تكمن في كونه أول معجم عربي عرفت الأندلس وكأنما قدر للأندلس أن تنتظر إلى ذلك الحين حتى يفد عليها لغوي كبير من المشرق ويضع لها هذا المعجم الرائد " أما الأندلس فكان أول من نقل إليها علم الأدب أبو القالي"²³.

مما يؤسف له أن حظ هذا المعجم لم يكن بأفضل من حظ معجم العين للخليل فكلاهما عبثت به الأيام فلم يصل إلينا كاملا، وإن ما بين أيدينا منه لا يتعدى قطعا غير متصلة المادة في غالب الأحيان. وهي تشكل في واقع الأمر مخطوطا نادرا من مقتنيات المتحف البريطاني بلندن، وآخر في دار الكتب الوطنية بباريس، والبارع فيما يقدر بعض الباحثين²⁴ أوسع المعاجم التي ظهرت حتى ذلك الحين ويبدو البارع من خلال استقراء ما بين أيدينا من مواد ومن خلال وصف القدماء أنه كان كبير الحجم. فقط ذكر ياقوت أنه يحتوي على مئة مجلد وأنه يحتوي على ثلاثة آلاف ورقة²⁵ على حين جاء في وفيات الأعيان وأنباء الرواة أنه يشتمل على خمسة آلاف ورقة وأغلب الظن ان الذين تكلموا على البارع من المشاركة لم يصفوه من كتب، ولذلك يبقى أبو

²¹ المعجم العربي إشكالات ومبادرات، محمد رشاد الحمزاوي، معجم سابق، ص 12.

²² فهرس ما روى عن شيوخه، لأبي بكر بن الخير بن خليفة الاشبيلي، خزانة الكتب الأشكورية، سرقسطة، 1893، ص 354.

²³ المرجع السابق، ص 398.

²⁴ طبقات النحويين واللغويين، أبو بكر محمد بن حسن الزبيدي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، القاهرة، ص202.

²⁵ جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، الحميدي محمد بن فتوح عبد الله، تحقيق، تاويت الطنجي، مكتبة دار السعادة، ط1، القاهرة، مصر، ص 347.

بكر بن خير وهو أندلسي عرف بتدقيقه أفضل من يحدثنا عن هذا المعجم الرائد، أنه يحدد حجمه بقوله ²⁶ أنه في مئة وأربعة وستين جزءاً، عدد ورقها أربعة آلاف ورقة وأربعمئة ورقة وست وأربعون ورقة.

وقد زاد أبو علي في بارعه على كتاب العين للخليل نيفاً وأربعمئة ورقة مما وقع في العين مهملاً، فأملاه مستعملاً ومما قلل فيه الخليل، فأملى فيه زيادة كثيرة، ومما جاء دون شاهد فأمل الشواهد فيه، فلما كمل الكتاب وارتفع إلى الحكم المنتصر بالله أراد أن يقف على ما فيه من الزيادة على النسخة المجتمع عليها من كتاب العين، فبلغ ذلك إلى خمسة آلاف وستمئة وثلاث وثمانين ²⁷. وهذا يعني أن المعجم امتاز بالشمول والإحاطة والتقصي والاستيعاب ²⁸ لهذا نعته الحميدي بأنه يحتوي على لغة العرب ²⁹. ولا يضارع البارع في الأندلس سوى كتاب المحكم الذي صنعه ابن سيده الأندلسي ³⁰ في القرن الخامس وقد سار أيضاً على نهج الخليل وأبي القالي. لم يحظ الكتاب بالشهرة التي يستحقها ولم يمل إليه الناس والسبب يرجع إلى أنه لم تصل إلينا نسخة كاملة من المعجم ³¹.

ترتيب الحروف:

بنى أبو علي كتابه على حروف المعجم، كما وصفته كتب التراجم، وهذه العبارة أي بناء الكتاب على حروف المعجم عبارة عامة لا تعني سوى وسم الكتاب بأنه ذو طبيعة معجمية وليس مجرد كتاب في اللغة، فهي لا تدل على النهج المعجمي الذي آثره المؤلف في تصنيفه، وقد آثر أبو علي لمعجمه هذا نسق مخارج الحروف الذي ابتدعه الخليل في معجم العين مع تغيير طفيف في مواقع الحروف فعلى حين بدأ الخليل معجمه بحرف العين ثم أتبعه الحاء فالهاء.... وأخيراً انتهى بالهمزة، آثر أبو علي في معجمه الأندلسي أن يبدأ بحرف الهمزة فقد ارتأى أن الهمزة يجب أن يكون مع حروف الحلق باعتبارها أيضاً حرفاً حلقياً، ومقتضى ذلك استهل القالي ترتيب حروف معجمه بحروف الحلق الستة بادئاً، وما يؤكد ذلك قول ولد أبي حيث يقول أن كتاب والده رتب على أبواب كتاب الهمز وكتاب الهاء وكتاب العين. ³² لكن الدكتور حسين نصار يدحض هذه الأقوال ويقول أن

²⁶ المعاجم اللغوية العربية بدايتها وتطورها، د إميل يعقوب، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، لبنان، ص66.

²⁷ التكملة لكتاب الصلة، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي بن الأبار، دار الفكر للطباعة، لبنان بيروت، 1995، ج1، ص106.

²⁸ الفهرست، لابن الخير، ص354.

²⁹ معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ج8، ص29.

³⁰ جدوة المقتبس، الحميدي، مرجع سابق، ص156.

³¹ المزهرة للسيوطي، ج1، ص45.

³² إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط1، 1982، القاهرة، ج1، ص

القالبي قد كتب في البارع " رتبت الحروف على النوع الآتي: ه ع غ ق ك ج ش ل ر ن ط د ت ص ز س ظ ذ ث ف ف ب م و ا ي ء " وتقدمي للهاء ووضع العين بعدها لا أريد به أنهما متعاقبان، بل أريد أن الهاء مقدمة على العين فقط"، وليس هناك ما يدل على أنهما متصلان في الترتيب أو منفصلان بحرف أو أكثر. ووضع الهمزة مع حروف العلة لأنه جعل المهموز مع المعتل، ولأنه نجد عنده العنوان التالي: الهاء اللام والواو والألف والياء في الثلاثي المعتل³³.

ترتيب الأبواب:

أما ترتيب الأبواب فقد نَجح فيه القالبي نَجح الخليل، إلا أنه عمد في الوقت نفسه إلى تطويره وتحسينه وتخليصه من بعض ما انطوى عليه من اضطراب، ففرق بين بعض الأبنية المختلفة التي جعلها الخليل في باب واحد، وخصص لها باباً فأصبحت الأبواب عنده ستة هي بالترتيب³⁴:

- أبواب الثنائي المضاعف ويسميه (الثنائي في الخط والثلاثي في الحقيقة) ويضم هذا الباب الألفاظ الصحيحة الثلاثية التي يتكرر ثانيها وثالثها مثل جب، رد أو الألفاظ الصحيحة الرباعية التي ترجع في حقيقتها إلى الثنائي الذي تتكرر حروفه، مثل جدجد، همهم...
 - أبواب الثلاثي الصحيح، وهو بطبيعة الحال أضخم الأبواب لأنه يحتوي معظم ألفاظ العربية.
 - أبواب الثلاثي المعتل، ويضم الألفاظ التي ينطوي على حرف واحد من حروف العلة، وعلى حرفين معتلين، وهذا الصنف انفرد به أبو علي في بارعه، فقد أفرده الخليل والأزهري وابن سيده في قسم خاص سمي "باب اللفيف".
 - أبواب الحواشي والأوشاب، ويضم الكلمات التي تحاكي الأصوات لدى نطق حروفها، أو الصيحات المستعملة في زجر الحيوانات أو حضنها، وهذه الأبواب أيضاً مرتبة وفق الثنائي فالثلاثي وأخيراً الرباعي.
 - أبواب الرباعي، وليس ثمة دليل قاطع على أن القالبي قد خصه بباب على هذا النحو دون أن يدمجه بالخماسي.
 - أبواب الخماسي، وهذا الباب الأخير فصله القالبي عن الرباعي فيما نرجح كما فعل الخليل.
- وبذلك فصل أبو علي الثلاثي وميز بين نوعيه كما خص الخماسي بباب مستقل.

التقاليب:

³³ المعجم العربي، حسين نصار، 246. أخذه عن البارع للقالبي، ص 86/1.

³⁴ المعجم العربي، حسين نصار، ج 1، ص 249.

لم يخالف **القالي** مبدأ التقاليد للتحليل بل جعله قدوة له في ذلك فكان يأتي بالمادة اللغوية من خلال لفظ من الألفاظ ضمن النسق المعهود وبعد أن يستوفيه ينتقل إلى تقاليده، وهو يميز كل تقليد بالاصطلاح مقلوبه.

تحليل المواد:

أول ما يميز كتاب **القالي** في مادته كونها ليست له بل لابن السكيت والتحليل والمؤلف له فضل الجمع، ويتصف المؤلف في أمانته أثناء اقتباساته، فيرد كلا منها إلى صاحبه صراحة كما يقوم بضبط الحرف الذي خاف تصحيفه بالعبارة فينص على شكل الحرف أو وزن الكلمة ويبين صحة نطق الكلمات:

قال القالي في مادة (هيغ): " قال أبو علي: قال يعقوب: يقال لمن أخصب وأثرى: وقع في الأهْيَعَيْن بالغين المعجمة، أي الطعام والشراب. وقال الخليل: الأهْيَغ: أرغد العيش وخصبه، قال رؤية:

عنكم وأيديكم طوال المبلغ يغمسن من غمّسنه في الأيهغ³⁵

ظواهر أدبية:

أبو علي أديب لغوي راوية أخباري لذلك لوحظت في معجمه بعض الظواهر الأدبية منها كثرة الشعر الذي يستشهد به وطول مقطوعاته، والسبب في ذلك يعود إلى كثرة رجوعه إلى كثير من اللغويين وأخذ شواهدهم كلها وكان من أثر ذلك تكرار بعض الشواهد في المادة الواحدة وذكره النواذر والأخبار، وعرف بكونه يقدم نصا من النصوص اللغوية ويعقبه بتفسير غريبه³⁶.

النقد:

يقول الدكتور **حسين نصار** أن كتاب **القالي** به شيء من النقد، وهو جهد هزيل بالنسبة لكتاب في حجم البارع وشهرته، لذلك لا يمكن الادعاء أن للمؤلف شخصية بارزة في كتابه وإنما تبرز شخصيته في جمعه واختياره بكل وضوح³⁷.

³⁵ المعجم العربي، حسين نصار، ج1، ص250.

³⁶ المزهري، السيوطي، م1، ص45.

³⁷ المعجم العربي، حسين نصار، ص258.

وقد أورد مثالا للنقد في الكتاب حيث يقول **القالى**: "قال **الخليل**: تقول العجهوم طائر من طير الماء، كأن منقاره جلم الخياط. كما أنه يلتفت إلى بعض العبارات العامية وينتقدها، مثل قوله: "والعامية يقولون: هاتم شهودكم، وهذا أفحش الخطأ"³⁸.

ثالثا: كتاب التهذيب للأزهري (272-380):

يحظى معجم تهذيب اللغة بمكانة مرموقة في تاريخ المعجم العربي لما يمتاز من مادة فصيحة وموثوقة، التي يرجع سببها الحقيقي إلى عناية الأزهري بالمادة القديمة وهو السند الأخير في القرن الرابع في السماع ورواية اللغة³⁹. ويعد التهذيب عمادا أساسا لما جاء بعده من المعجمات، وهذا ما أكده ابن منظور في مقدمة معجمه لسان العرب: "لم أجد في كتب اللغة أجمل من تهذيب اللغة لأبي منصور أحمد بن محمد الأزهري"⁴⁰.

مقدمته:

تعتبر مقدمة **الأزهري** لمعجمه "تهذيب اللغة" تحولا جذريا في الخطاب المعجماتي ومنهجيته ورؤية نافذة عن مضامين التعابير الواردة فيها حددت التوجهات والدوافع التي وضعها الخليل في ترتيب مواد اللغة، لاقتناعه بأن مشروع الخليل لم يكتمل بعد وبحاجة إلى مزيد من الإيضاح والإغناء والاضافات اللغوية التي تراكمت منذ تأليفه في أواخر القرن الثاني الهجري. ولقد عبر عن ذلك دون التباس أو غموض بقوله: "ولم أر خلافا بين اللغويين أن التأسيس المجمل في أول كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد، وأن المظفر أكمل الكتاب عليه بعد تلقفه إياه عن فيه، وتردد فكره، ونستفيد منه ما بك الحاجة إليه، ثم أتبعه بما قاله بعض النحويين، مما يزيد في بيانه وإيضاحه"⁴¹.

هدفه من التأليف:

وكان **الأزهري** يهدف من وراء معجمه إلى "تهذيب اللغة" مما أصابها من التصحيف والخطأ، وتدوين ما ثبت وصح، إماما سماعا، أو رواية عن ثقة، أو نقلا عن خطأ عالم يثق بعلمه، فقد رام مؤلفه تنقية اللغة من الشوائب التي تسربت إليها ويدل ذلك

³⁸ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³⁹ تهذيب اللغة، أبو منصور أحمد بن محمد الأزهري، تحقيق رياض زكي قاسم، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ج1، ص7.

⁴⁰ لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار الحديث، القاهرة -مصر، ط 2003، ج1، ص25.

⁴¹ مقدمة التهذيب، عبد السلام هارون، ص 41.

من عنوانه وقد قال في مقدمته: " لم أودع كتابي هذا من كلام العرب إلا ما صح لي سماعاً منهم، أو رواية عن ثقة، أو حكاية عن خط ذي معرفة ثاقبة..."⁴².

منهجه:

اتبع الأزهري في تقسيم كتابه لمنهج الخليل فالتزم ترتيب المخارج الذي ابتكره الخليل في العين، وقسم وفقه المعجم إلى كتب، وجعل كل كتاب في ستة أبواب⁴³:

1- أبواب المضاعف تبدأ بالحرف الأول على الطريقة الصوتية فوضع في هذا الباب الأبنية الثنائية والرباعي المضاعف وما ضوعف من فائه ولامه والخفيف وهو العين وما يليها في الترتيب كالعين مع الحاء ثم العين مع الهاء وهكذا إلى آخر الحروف مع الأخذ بنظر الاعتبار التقاليد وما ينتج عن كل مادة، وهو كالخليل لا يعيد شرح الكلمة التي وردت في تقاليد كلمة أخرى، وهذا تفادياً للتكرار.

2- أبواب الثلاثي الصحيح: وتبدأ بحرف العين مع الحاء والحرف الثالث الذي يلهما وفق الترتيب الصوتي للحرف.

3- أبواب الثلاثي المعتل وتسير مثل الأبواب السابقة مع إلحاق المهموز بالمعتل الألف.

4- أبواب الفيف.

5- أبواب الرباعي.

6- وهو دون أبواب لندرة المادة فيه وأكثرها من الغريب النادر.

إلا أنه زاد في آخره ثلاثة أبواب لغوية ونحوية، الأول باب تصريف أفعال حروف اللين، والثاني باب في تفسير الحروف المقطعة في القرآن. والثالث خاص بالهمزة: تحقيقها وتخفيفها وحذفها وأنواعها⁴⁴.

وصف المقدمة:

يفتح الأزهري معجمه بمقدمة طويلة تليق بموسوعة مثله، وتعالج مواضيع مختلفة حيث يشير فيها إلى حاجة المولدين في عصره إلى من يشرح لهم اللغة، ثم يعرج إلى ذكر اللغويين الذين اعتمد عليهم مرتبين طبقات، وهم تقريباً كل اللغويين الذين سبقوه، فيتكلم عن كل واحد منهم ويوثقه أو يضعفه، وينتقد الضعفاء بشدة ويضع فيهم الليث وأبن دريد...⁴⁵.

⁴² تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق عبد السلام بن هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 1976، م1، ص45.

⁴³ المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، عز الدين اسماعيل، دار الغرب للطباعة والنشر، ط1، القاهرة، مصر، 2003، ص155.

⁴⁴ المعاجم اللغوية وطرق ترتيبها، أحمد بن عبد الله الباتلي، ص22.

⁴⁵ تهذيب اللغة، الأزهري، المقدمة، ج1، ص28/29.

تحليل المواد:

لقد تميزت مواد التهذيب باتساعها وذلك أن الأزهري أخذ عن العين والجمهرة، ومن الرسائل اللغوية الكثر الذي أشار إلى بعضه في مقدمته، وأشار إلى بعضه الآخر في تضاعيف المعجم، فقد ذكر في مادة "عق" يذكر حوالي ثمانية من اللغويين مع إهمال تلاميذهم الذين يروون عنهم، ويستقي هو عن طريقهم⁴⁶ ومعجم التهذيب يقال عليه ما قيل على معجم العين من ورود الأقوال المتشابهة أو المشتركة التي تتكرر عنده، لأنها صدرت من لغويين كثيرين، بل تتكرر وتتناثر في مواضع متفرقة، فقد أخذ الأزهري من العين جميع ما ورد فيه أو معظمه فأدخله في كتابه ما صح عنده منه أدخله دون تخرج، مع نسبته إلى الليث، أو مع إهمال ذلك⁴⁷.

ويذكر الدكتور حسين نصار في كتابه المعجم العربي أن من نتائج توسع الأزهري في الأخذ عن اللغويين الكثيرين في كتابه إتيانه بكثير من المواد والصيغ التي أهملها الخليل وابن دريد قبله، وكان يشير في إلى ذلك في المواد. ومن النتائج أيضا الفوضى الضاربة أطنابها في داخل المواد في داخل المواد، ولهذا لا يمكن أن نتبن خطة واضحة أو منهجا في ترتيب الصيغ في داخل العدد، إنما سرد لأقوال أكبر عدد من اللغويين سردا يتحكم فيه تداعي المعاني وحسب فكلما ورد على خاطره القول، أو برز أمام عينه في كتاب، سجله داخل مادته⁴⁸. وقد اعتنى المؤلف بالشواهد القرآنية والحديثية عناية كبيرة فاق غيره من اللغويين وذلك لعناية المؤلف بربط القرآن والدين باللغة، وقد أحس بهذه الناحية أحمد فارس الشدياق فقال: "كلف الأزهري في التهذيب بتفسير الآيات القرآنية"⁴⁹.

مأخذ:

- توسعه في الشرح ما أوقعه في التكرار.
- اتباعه نظام التقليبات الصوتية مما جعل البحث فيه عسيرا جدا.
- تحامله على كثير من اللغويين السابقين.

رابعاً: كتاب المحيط:

⁴⁶ المعجم العربي، د حسين نصار، ج1، 274.

⁴⁷ تهذيب اللغة، الأزهري، ج1، ص 99.

⁴⁸ المعجم العربي، د حسين نصار، ج1، ص 275.

⁴⁹ الجاسوس على القاموس، أحمد فارس الشدياق، ص 48.

شاهد القرن الرابع معجما آخر يسير على آثار كتابي العين والتهذيب، وذلك هو المحيط للمصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد الوزير الأديب المشهور⁵⁰.

منهجه:

اتبع المصاحب ترتيب الخليل والأزهري للحروف، واتبع الأزهري وحده في تقسيم الأبواب على النحو التالي: الشائي المضاعف، الثلاثي الصحيح، الثلاثي المعتل، اللفيف، الرباعي، الخماسي، ووافقهما في نظام التقاليب أيضا. وإذا كان الأمر كذلك فنحن في غنى عن وصف هذه الأبواب هنا اكتفاء بوصفها في التهذيب⁵¹.

تحليل المواد:

وإذا أردنا تحليل مواد معجم المحيط فسنلاحظ مايلي:

- ذكر كل الصيغ والمعاني التي ذكرها الخليل.
- التصريح بمفرد بعض الصيغ التي أتى بها مجموعة، أو جمع بعض الصيغ التي أتى بها مفردة.
- إضافة صيغ ومعاني لم نجدها عند الخليل أو الأزهري.
- إتخذ من الاختصار منهجا له، حتى جعله يختصر التفسيرات من العين والتهذيب كليهما، ويحذف أسماء اللغويين الذين تنسب المادة إليهم.
- عدم ذكر اللغويين الذين يرجع إليهم وهذا بسبب ميله للاختصار.
- إعماده على تفسير واحد للفظ لا يتعداه فلاستقصاء في التفسيرات التي تتعلق باللفظ الواحد معدوم عنده وهذا على خلاف الموسوعات اللغوية التي ظهرت في القرن الرابع.
- تقليبه من من ذكر الشواهد الشعرية أو من القرآن الكريم وإذا أورد شاهدا شعريا أورد شطرا أو جزءاً.
- كثرة الاستشهاد بالأمثلة.
- العناية بالمجاز⁵².

⁵⁰ معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي، ص 227.

⁵¹ المعجم العربي، د حسين نصار، ج 1، ص 332.

⁵² المرجع السابق، ص 332/333/334.

وقد لفتت هذه الظواهر أنظار القدماء " صنف ابن عباد كتابا في اللغة العربية كثر فيه الألفاظ، وقلل الشواهد، فاشتمل من اللغة على جزء متوفر فهو أشبه أن يكون استدراكا على العين والتهذيب"⁵³.

لم يختلف ابن عباد في معجمه عن من سبقه ولا نلمس تجديدا في حركة المعاجم من خلال معجمه إلا في الألفاظ والمعاني التي لم يذكرها من قبله.

خامسا: كتاب المحكم:

آخر معجم في المدرسة الأولى هو "المحكم" لأبي الحسن بن إسماعيل بن سيده الأندلسي، قصد ابن سيده في معجمه إلى هدف يختلف عن هدف الخليل والأزهري، فقد رُمى إلى جمع المشتت من المواد اللغوية في الكتب والرسائل في كتاب واحد، يغني عنها جميعها إلى دقة التعبير عن معانيها، وتصحيح ما فيها من آراء نحوية خاطئة، ولكنه اتفق مع الأزهري في ربطه اللغة بالقرآن والحديث⁵⁴. وقد أشار ابن سيده في مقدمة كتابه إلى هذا حيث قال: "فتأمل الأمير أي: أمير البلاد- لذلك كُتِبَ رواثها وحققاؤها، فلم يجد منها كتابًا مستقلاً بنفسه، مستغنياً عن مثله، مما أُلِّفَ في جنسه، بل وجد كل كتاب منها يشتمل على ما يشتمل عليه صاحبه، وشل لا تُعاند عليه رواده، وكألاً لا تُحاقد في مثله رواده، لا تشبع فيه ناب ولا فطيمة، ثم إنه لحظ مناظر تعبيرهم، ومسافر تحبيرهم فمأطبت شيء من ذلك له ناظرًا، ولا سلك منه جنائًا ولا خاطرًا، فالتمس من يؤهل لذلك من أبواب عبيده وصبويات عديده، فوجد منهم فضلاء خيارًا، ونبلاء أجبازًا، لكن رأني أطولهم يدًا وأبعدهم في مضمار العتاق مدًى، فأمرني بالتجرد لهذه الإرادة، ثم أمرني بالتأليف على حروف المعجم، فصنفت كتابي الموسوم بالمحكم".

منهجه:

التزم ابن سيده في معجمه منهج الخليل من ناحية التقليبات الصوتية على الرغم من وجود مدارس أخرى معجمية اتخذت طرقا أيسر من طريقة الخليل، وقد استفاد من كل التعديلات التي حدثت في طريقة الخليل بعد وفاته والتي بلغت قمته في مختصر العين للزبيدي.

ولذلك قسم كتابه إلى حروف بدأها بحرف العين ثم قسم هذه الحروف إلى أبواب هي :

- 1- باب الثنائي المضاعف الصحيح، مثل عق ومقلوبها: ق ع ... إلخ.
- 2- باب الثلاثي الصحيح، مثل: عهق، هع... إلخ.
- 3- باب الثنائي المضاعف، مثل رصرص.

⁵³ إنباه الرواه على أنباه النحاة، علي بن يوسف القفطي جمال الدين أبو حسن، ج1، ص 201.

⁵⁴ المعجم العربي، د حسين نصار، ج1، ص344.

4- باب الثلاثي المعتل مثل: عال.

5- باب اللقيف، مثل: عوى، وعى.. إلخ

6- باب الرباعي، مثل: هبّقع.

7- باب الخماسي، مثل: الحزّعل.

وقد زاد ابن سيده على هذا التقسيم بابا ذكره في مواضع قليلة نادرة ودعاه مرة بالسداسي، وأخرى الملحق بالسداسي، ووضع فيه ألفاظا أعجمية وأسماء أصوات. وقد خالف بذلك الصرفيين الذين يرون أنه لا توجد ألفاظ سداسية الأصل، وأن الألفاظ الأعجمية لا يصح وزنها، لأن الوزن خاص بالعربية⁵⁵.

خطته داخل المواد:

لقد التزم ابن سيده خطة ذكرها في مقدمته ليسير عليها في انتقاء الألفاظ التي يدخلها تحت موادها وترتيبها فحذف أمورا، ونبه على أخرى وميز بين المتشابهات، ورتب الألفاظ⁵⁶.

ويقول الدكتور حسين نصار: " ولم نر مثلها أو ما يقاربها عند من قبله من أصحاب المعاجم، وواضح فيها تأثير النحو والصرف، إذ يعتمد عليهما في الأمور الأربعة التي صورها في خطته. واعترف المؤلف بذلك حين قال ليست الإحاطة بعلم كتابنا هذا إلا لمن مهر بصناعة الإعراب، ويتفق ذلك كله مع ميله إلى تصحيح الآراء النحوية الخاطئة في كتب اللغة، ومع غلبة علم النحو عليه"⁵⁷.

ظواهر لغوية⁵⁸:

- أهم ظاهرة انفرد بها المحكم من غيره من المعاجم اللغوية ميل موادها إلى الانتظام في داخلها وفقا للمنهج الذي وضعه.
- جمع الأقوال في تفسير اللفظ الواحد، ومن مظاهر الجمع والاستقصاء عنده اقتباس جميع ما في العين والجمهرة إلا النادر القليل وهو الشواهد الشعرية وكان يستعيز عنها في أحيان أخرى.

⁵⁵ مقدمة محقق المحكم، مصطفى السقا، د حسين نصار، معهد المخطوطات العربية، ط2، 2003، ص16.

⁵⁶ ينظر: المعجم العربي نشأته وتطوره: د حسين نصار، ج1، ص 289/288.

⁵⁷ المرجع نفسه، ص 289.

⁵⁸ المرجع السابق، ص 296/297/298/299.

- لا يتعارض الاستقصاء في المعجم مع تحري صاحبه الاختصار من إيجاز لعبارة التفسير وتجنب للتكرار وحذف للصيغ القياسية.
- كثرة الأحكام النحوية والصرفية وفاء من المؤلف بوعده في مقدمته، وقيامه بحق غرضه من كتابه، وأكثر ما تكون هذه الأحكام في أقسام الخفيف من الأبواب الثنائية.
- الالتفات إلى اللغات والأعلام والروايات المزوجة والاتباع، والتعبيرات المجازية.

نقد:

مميزاته:

- التنبيه على الشاذ مثل اسم المفعول الذي لا فعل له أو الفعل الذي لا مصدر له أو لا ماضي له أو لها مصدر غير لفظها.
- ميز أسماء الجموع من الجموع وجمع الجموع⁵⁹.

المآخذ:

- صعوبة الأخذ منه وهذا المآخذ يوجه للمدرسة بصفة عامة.
- الإخلال بالمنهج الذي وضعه في مقدمته.
- التصحيف في الألفاظ، قال المؤلف: " وَتَقْعُوشُ الشَّيْخِ: كَبْرٌ، وَتَقْعُوشُ الْبَيْتِ: تَهْدِمُ. فَقَدْ ذَكَرَ اللَّفْظَيْنِ بِالْشَّيْنِ الْمَعْجَمَةَ عَلَى حِينٍ وَجَدْنَا ابْنَ الْأَعْرَابِيِّ يَقُولُ بِالْسَّيْنِ الْمَهْمَلَةِ وَمِثْلَهُ قَالَ ثَعْلَبُ اللَّغْوِيُّ وَوَصَلَ الْأَمْرُ بِابْنِ سَيِّدِهِ إِلَى التَّصْحِيفِ فِي الشُّوَاهِدِ الْقُرْآنِيَةِ وَالْحَدِيثِ وَالشَّعْرِ وَبِالرَّجُوعِ إِلَى الْكُتُبِ يَظْهَرُ ذَلِكَ فِي مَوَاضِعَ عَدِيدَةٍ⁶⁰.
- التفسيرات الخاصة، فقد قال " هَسَعٌ وَهَيْسُوعٌ " اسمان وهي لغة قديمة لا يعرف اشتقاقها. ويعلق الفيروزآبادي على ذلك قائلاً: لقد أبعد أبو الحسن في المرام، وأبعط في السّوم، وإن هذين الاسمين عريان حميران واشتقاقهما من هسع، إذا أسرع، وهاسع وهُسَيْع كضرد مصغرا، ومهسع بكسر الميم أبناء الهَمَيْسَع بن حمير من سبأ، فَلْيَعْلَمْ مَنْ أَيْنَ تَوَكَّلَ الْكَتْفَ، لِيَتَنَصَّلَ عَنْ ارْتِكَابِ الْكُلْفِ " وقد أخذ ابن سيده قوله عن الجمهرة، والفيروزآبادي أخذه عن التكملة⁶¹.

⁵⁹ المعاجم العربية مدارسها ومناهجها: د عبد الحميد محمد أبو سكين، ص 70.

⁶⁰ المعجم العربي نشأته وتطوره، دحسين نصار، ص 300.

⁶¹ تاج العروس، مادة هسع

- الخطأ في وضع اللفظ حيث وضع الرباعي في الثلاثي مثل قولدهاع ودهداع: من زجر الغنم، ودفع الراعي بالعنوق ودهدع: زجرها بذلك" فهذا غلط فليس دهداع ولا دهدع من الثلاثي وإنما هو من الرباعي⁶².
- التصحيف في ضبط الألفاظ قال المؤلف: " وَعَيْهُمْ: اسم موضع بالغور، قالت امرأة من العرب ضربها أهلها في هوى لها:

ألا ليت يحيى يوم عَيْهُمْ زارنا وإن نخلت منا السياط وَعَلتِ

والصواب الفتح كما في التهذيب لا الضم كما ذكر ابن سيده إذ أورد الفتح أيضا الفيروزآبادي وياقوت ولم يذكر الضم⁶³.

- الخطأ في الأحكام حيث يقول العَيْهَل الذكر من الإبل والأنثى عيهلة". ولكن الأزهرى في التهذيب والجوهري في الصحاح ذكر أنه لا يقال جمل عيهل.
- إبراده بعض الألفاظ والمعاني التي وردت في العين والجمهرة مع أنها لقيت نقدا عند بعض العلماء وكان هذا نتيجة اقتدائه بهذين الكتابين دون تمحيص ما جاء فيهما مثل طخطح، جمع، قعر وغير ذلك.

خطا المحكم بمنهج المعاجم خطوة إلى الأمام، وهي محاولة تنظيم داخل المواد ولكنه فيما عدا ذلك كان متأخرا عن المعاجم الشرقية.

فقد سار في ترتيبه على نهج الخليل والزيدي وكان المشاركة قد وصلوا إلى ترتيب إخر أسهل هو ترتيب آخر أسهل هو ترتيب الجوهري.

واعتمد في مواده على الخليل، وابن دريد والقيالي وبعض أصحاب الرسائل الأخرى، وكان المشاركة قد وصلوا منذ القرن الرابع إلى الموسوعات الكبيرة مثل: التهذيب والمحيط، بل نقد بعضهم مواد الخليل وابن دريد نقدا مرا، مثل: الأزهرى وابن فارس. وإذن: فما قدّمه ابن سيده لحركة المعاجم: هو محاولة تنظيم داخل المواد وحده، وتهذيب الخليل ترتيب الخليل، باتباع مختصر كتابه للزيدي، واعتماده على بارع القالي الذي فُقد ولم يره كثير من المشاركة، واعتماده على علمي الصوف والنحو في كثير من أحكامه⁶⁴.

⁶² ينظر المعاجم العربية مدارسها ومناهجها: د عبد الحميد بن سكين، ص 71.

⁶³ المعجم العربي: دحسين نصار، ج1، ص 300.

سادسا: خصائص المدرسة وعيوبها:

المزايا:

- يعد الخليل بن أحمد مبتكرا للتأليف على هذه الطريقة، إذ لم يسبقه أحد قبله.
- حظيت هذه الطريقة بأن سار في ركابها وتعاقب عليها عدد من أئمة اللغة وجهابذتها.
- حوت مؤلفات هذه الطريقة عددا كبيرا من المواد اللغوية، مع غزارة في المادة العلمية تمثلت في كثرة الشواهد القرآنية والنبوية والشعرية والنحوية وغيرها.
- حرصهم على جمع اللغة العربية واستيعابها مع العناية بالضبط والتوثق من صحة المعنى.
- حاول مؤلفو الكتب الأخيرة في هذه المدرسة التخلص من مما وقع فيه من سبقهم من عيوب، فقد كان هدف الخليل حصر اللغة واستسقاء الواضح والغريب منها، وهدف الأزهري تهذيبها، وتخليصها من الغلط والتصحيح مما وقع فيه الخليل وابن دريد وغيرهما، وهدف ابن سيده جمع المشتت من اللغة في الكتب المتفرقة وتصحيح ما فيها من أخطاء في التفسيرات النحوية. ويبدو أن هدف القالي يشبه هدف الأزهري، وأن هدف الصاحب بن عباد استدراك ما فات سابقه من غريب⁶⁵.

المآخذ:

- يؤخذ على هذه الطريقة صعوبة البحث فيها ومشقة الوصول للفظ المراد بسبب صعوبة معرفة الترتيب على المخارج وما يتعلق به من المقلوبات. وما ينتج عن ذلك من ألفاظ يعدها بعضهم مهملة فيثبت غيره استعمالها. ولكن يمكن الاستفادة من هذه المؤلفات بمراجعة الفهارس التي في آخرها، ولقد شكى من صعوبة هذه الطريقة عدد من اللغويين المتقدمين ومنهم: أبو العباس أحمد بن ولّاد ت 302 هـ فقال: كتاب العين لا يمكن طالب الحرف منه أن يعلم موضعه من الكتاب، من غير أن يقرأه، إلا أن يكون قد نظر في التصريف، وعرف الزائد والأصلي... الخ⁶⁶.
- ولعل تلك الصعوبة هي السبب الأول في قيام المدرسة الثانية من المعجمات، إذ أحس القدماء بها فحاولو تيسيرها والتخلص منها، قال ابن دريد في الجمهرة:
- الاضطراب في حروف العلة والهمزة، وبإي اللّفيف والثنائي المضاعف.

⁶⁴ المعاجم العربية موضوعات وألفاظا: د فوزي يوسف الهابط، ص 118.

⁶⁵ المعجم العربي: د حسين نصار، ص 304.

⁶⁶ ينظر: المزهر، السيوطي، م 1، ص 91/90.

ونختم هذا المبحث بما اختص به كل كتاب من هذه المدرسة فلا نرى في العين شيئاً خاصاً عنى به أكثر من غيره بسبب أوليته، أما البارع فيمتاز بالضبط والصحة، ويمتاز التهذيب بالجمع والمعارف الدينية، والمحيط لاغريب والاختصار والمحكم بالمسائل النحوية والصرفية، وهو أحسنها ترتيباً لأبوابه ومواده وألفاظه في داخلها وأجلها منهجاً نظرياً⁶⁷.

قائمة المصادر والمراجع:

- الاقتراح في أصول النحو، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، تح: عبد الحكيم عطية، علاء الدين عطية، دار البيروتي، دمشق، ط2، 2006.
- إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الفكر العربي، ط1، 1982، القاهرة.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، عبد بن أبي بكر السيوطي جلال الدين، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار نشر عيسى البابي الحلبي، ط1، 1964، القاهرة مصر.
- التكملة لكتاب الصلة، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي بن الأبار، دار الفكر للطباعة، لبنان بيروت، 1995.
- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى، تحقيق عبد السلام بن هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 1976.
- الجاحسون على القاموس، أحمد فارس الشدياق مطبعة الجوائبالقسنطينية، 1299هـ.
- جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، الحميدي محمد بن فتوح عبد الله، تحقيق، تاويت الطنجي، مكتبة دار السعادة، ط1، القاهرة، مصر.
- سر صناعة الاعراب، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت لبنان، 2000.
- ضحى الإسلام، أحمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر القاهرة، ط 1997.
- طبقات النحويين واللغويين، أبو بكر محمد بن حسن الزبيدي، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، ط1، القاهرة.
- فهرس ما روى عن شيوخه، لأبي بكر بن الخير بن خليفة الاشيلي، خزانة الكتب الأشكورية، سرقسطة، 1893.
- الفهرست، أبو الفرج محمد بن إسحاق، بن محمد الوراق البغدادي أبن ندتم، تحقيق إبراهيم رمضان، دار المعرفة بيروت لبنان، ط2، 1997.
- كتاب العين مرتب على حروف المعجم، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: د عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط1، 2003.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار الحديث، القاهرة -مصر، ط 2003.
- المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، عز الدين اسماعيل، دار الغرب للطباعة والنشر، ط1، القاهرة مصر، 2003.

⁶⁷ المعجم العربي، د حسين نصار، ص 306/307.

المعاجم العربية مدارسها ومناهجها، د عبد الحميد محمد أبو سكين، الفاروق الحرفية للطباعة والنشر، ط2، 1981، مصر القاهرة.

المعاجم اللغوية العربية بدايتها وتطورها، د إميل يعقوب، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، لبنان.

المعاجم اللغوية وطرق ترتيبها، أحمد بن عبد الله الباتلي، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، ط1.

معجم الأدباء إرشاد الأريب في معرفة الأديب، ياقوت الحموي، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1993.

المعجم العربي إشكالات ومبادرات، محمد رشاد الحمزاوي، بيت الحكمة، ط1، قرطاج تونس.

مقدمة الصحاح، أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط4، 1990، بيروت لبنان.

مقدمة محققي المحكم، مصطفى السقا، د حسين نصار، معهد المخطوطات العربية، ط2، 2003.